دور التوجهات الفكرية الحديثة في تغير آلية الفعل الثقافي وحضور عمارته

د. مظفر الجابري / أستاذ
قسم الهندسة المعماري
كلية الهندسة / جامعة بغداد

د.إنعام البزاز / مدرس
قسم الهندسة المعمارية
كلية الهندسة / جامعة بغداد

لميس محمود قطامش
قسم الهندسة المعمارية
كلية الهندسة / جامعة بغداد

الخلاصة

يتناول البحث دراسة أحد الأبنية المتخصصة التي تعنى بموضوع الثقافة بعمومياتها وخصوصياتها ، وهي أبنية المراكز الثقافية التي تشكل الفعالية الثقافية محوراً رئيساً في حصور عمارتها. تهدف مثل هذه المراكز إلى نشر الثقافة وتوفير أساليب التواصل والتبادل الثقافي بين المجتمعات المختلفة حيث تختلف هذه المجتمعات في طريقة التعبير عن ثقافتها وفي أسلوب أداء الفعالية الثقافية نظراً لارتباط الفعل الثقافي بمستوياته المختلفة بالرموز الحضارية لكل مجتمع ، وتوجيه هذا الفعل نحو تلبية الحاجات الروحية والمادية للمجتمع بشكل عام والفرد بشكل خاص.انعكس هذا الاختلاف بين الحضارات في طريقة ممارسة الفعالية الثقافية مما أستوجب توفر مباني تخدم هذه الفعالية وتعبر عن الخصوصية الثقافية لكل مجتمع.

برزت من هنا مشكلة البحث متمثلة في غياب التصور الواضح لمفهوم الثقافة وسبل ترجمته بوصفه فعالية وظفت ضمن عمارة عبرت عنها المراكز الثقافية ، ودور الفكر الحضاري في اختلاف تلك الأبنية من حيث الشكل والوظيفة. يهدف البحث إلى توضيح هذا الدور وأثره في تغير آلية الفعل الثقافي وما يترتب على ذلك من تغيير في عمارة المراكز الثقافية. لتحقيق هدف البحث ، أعتمد المنهج التحليلي في دراسة المباني المهمة التي تضمنت الفعاليات العامة ذات الطابع الثقافي في عدد من الحضارات التي تم اختيارها لإجراء التحليل وعدد من النماذج لمراكز ثقافية حديثة مثلت أمثلة عالمية وعربية ومحلية أبرزت أنواع من الثقافات المختلفة عن بعضها البعض.

THE ROLE OF MODERN INTELLECTUAL ATTUDIS IN CHANGING THE MECANISM OF CULTURAL ACT AND ITS ARCHITECTURE PRESENCING

Dr. Mudafar Al. Jaberry
Architectural Department
Engineering Collage
Baghdad University

Dr. Inaam Al. Bazzaz
Architectural Department
Engineering Collage
Baghdad University

Lammes M. Katamish
Architectural Department
Engineering Collage
Baghdad University

ABSTRACT

This research study one of the specialized buildings related to culture, and the cultural activity considered as the basic cause of its architecture presencing. The main role of these centers is to spread culture and to provide ways of natural cultural communication among various societies. These societies differ in expressing culture and methods of cultural activity performance, as the cultural act, with its different levels. connects with each society s civilizational codes and direct this act to meet the spiritual and material needs of the society in general and the person in particular.

The difference between cultures had been reflected in the way of performing the cultural activity and the buildings needed for serving this activity and at the same time reflects the cultural specivity of these societies. Therefore, the research problem emerged as the absence of a complete intellectual image of the concept of culture and the way of its reflection as an activity employed within architecture that cultural center expresses it, and also the role of the civilized intellect in changing and differentiating those buildings in shape and function. The research aims to clear this role and its effect in changing the mechanism of cultural act and the changes in the architecture of cultural centers that comes as a result of this change.

An analytical approach had been adopted in studying the most important buildings that include the general activities of cultural character in different civilizations and number of examples of the modern cultural centers from international, Arabic, and local examples that reflects different types of cultures.

المقدمة

تعني الثقافة أشياء كثيرة يصعب تصور الحياة الإنسانية بدونها ، وهي الأساس الذي على ضوئه يتم التمييز بين حياة الإنسان وغيره من الكائنات الحية . يقول أبن خلدون: " أنها الباعث الرئيس في حياة الإنسان وحبه للتعلم والتقدم وانتقاء الجيد من بين الأشياء في كافة مجالات الحياة ". تأتي من هنا أهمية وجود عمارة تقوم على نشر الثقافة والوعي بين أبناء المجتمع وتأمين أهم وسائل نشر الثقافة عن طريق المراكز الثقافية وما تحتويه من فعاليات ووسائل تؤمن الفعالية الجمعية التي تعّد المحرك الرئيس للثقافة وعمليات تبادلها وتواصلها.

إن شمولية الثقافة وكثرة تخصصاتها أعطت إغناءً فكرياً تطور يوماً بعد يوم بجانبه الفكري وانعكاساته المادية مسبباً في ظهور فعاليات ثقافية كثيرة ومتنوعة جاء وجودها معبراً عن ضرورة حضارية تهدف إلى اللحاق بعجلة التطور الثقافي الذي تجسد في حضور المراكز الثقافية وتميز عمارتها بما تحمله من اختلافات فكرية وتقنية أثرت على طبيعة تصميمها وحضورها وأدائية فعالياتها باختلاف الثقافات وتوجهاتها في توظيف هذه الفعالية.

يدرس البحث عمارة المراكز الثقافية وأنشطتها وكيفية أدائها للفعالية الثقافية وما تعكسه عمارتها طبقاً لعوامل التغير الثقافي التي تشهدها المجتمعات المعاصرة والتي تمثل المراكز الثقافية وحضور أنشطتها أحد شوا خص هذا التغير.

مفهوم الثقافة الجماهيرية وعلاقته بقصور الثقافة

تمثل الثقافة الجماهيرية عناصر الثقافة التي تنمو في مجتمع غير متجانس نتيجة للتعرض لوسائل الاتصال الجماهيرية والتي تعد جزءاً من عملية التوحيد المشترك للقيم والاتجاهات الثقافية بين أعداد السكان في الوحدات الاجتماعية ، وهي الثقافة التي تميز المجتمع الجماهيري الذي يصاحب المدينة الحضرية والصناعية الحديثة. يتخذ وصف الثقافة الجماهيرية وتفسيرها صوراً متعددة ، إلا أن المهم فيها الجماهير التي تستهلك وتستمتع وتتكيف مع ثقافة تختلف اختلافاً جوهرياً عن الثقافة التي كانت محل استمتاع الصفوة في البناء الاجتماعي (في الحاضر والمستقبل) لأن عناصر " موضوعات" الثقافة الجماهيرية تنتقل وتنتشر من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة ، فالثقافة الجماهيرية بوصفها رسالة هي سمة العصر تكتسب طابعها الجماهيري عندما تشع ثقافة قومية شاملة بين المواطنين جميعاً تتمثل في الوحدة الوجدانية والفكرية للجماهير فتحقق إنسانية الإنسان ، أي تحقق تحديده وتنويره وتطويره فهي الوسيلة لجعل التطور الفكري والوجداني لجماهير الشعب مسايراً للتطور المادي الذي تستحدثه الثورة العلمية (فليه،١٩٩٨).

يختلف جهاز الثقافة الجماهيرية اختلافاً واضحاً عن غيره من الأجهزة الثقافية والفنية الأخرى وذلك من خلال:

١- أسلوب التعامل والتفاعل المباشر مع جماهير الفنانين والمبدعين في المجالات المختلفة فهي ليست جهاز يعرض فنون وإبداعات جاهزة لجمهور سلبي ولكنها شكل من أشكال تنظيم المبادرة الفعالة لهذا الجمهور ورعاية المواهب التي تبرز في صفوف الجمهور في المدن والقرى المختلفة والتي تقوم بها قصور الثقافة من خلال تقديم الخدمات الثقافية لجميع الأفراد في جميع الأعمار كل حسب قدراته واستعداداته بما يعود على الأفراد بالتنمية الشاملة اقتصادياً واجتماعياً (المصدر السابق).

٢- لما كانت الثقافة حقاً أساسياً لكل مواطن فيجب أن تكون متفاعلة مع الحضارة العالمية ، وهي وظيفة تقوم بها المراكز الثقافية من خلال الانفتاح على التجارب الإنسانية محلياً وقومياً وعالمياً مرتبطة بتراث الشعب وادائه وقيمه الدينية والروحية ، أي إعطاء ثقافة تربط بين التراث والحداثة وبين الأصالة والمعاصرة.

٣- تعد قصور الثقافة مؤسسة اجتماعية ووسط ثقافي له تقاليده وأهدافه وفلسفته وقوانينه التي وضعت لتتماشى مع أهداف فلسفة المجتمع الكبير الذي هي جزء منه وتضم مجموعة من الأفراد تقوم وفق تخطيط واعي بوظائفها تستهدف تحقيق آمال وأهداف المجتمع على المدى الطويل من اجل الوصول إلى مستقبل أفضل. (المصدر السابق).

التغير الثقافي وانعكاساته في آلية الثقافة بوصفها فعالية

يقصد بالتغير التبدل والتحول من حالة إلى أخرى ، إلا أن المقصود هنا هو النمو والتطور الثقافي الذي يعني التقدم والتطور والرقي (البعلبكي،١٩٨٨).

ينعكس التغير الثقافي على جميع الأشكال والمظاهر المادية للثقافة بما فيها أدائية الفعالية الثقافية ، والذي ينتج عن أسباب ودوافع معينة لا بد لنا من دراستها للوقوف على نتائجها على تلك الفعالية وعلى عملية توظيفها ضمن عمارة تتمثل بعمارة المراكز الثقافية ضمن عوامل التغير الثقافي في العصر الحديث ومستجدا ته التي أعطت ملامح التوجهات الفكرية الحديثة في ترجمة الثقافة وفعاليتها وعمارتها.

دوافع التغير الثقافي في العصر الحديث

يرجع التغير الثقافي وحالات التحول التي يشهدها المجتمع في جميع صفاته الثقافية والاجتماعية والفكرية إلى عدة أسباب أختلف في تحديدها المفكرون وعلماء الاجتماع ، فقد ذكر البعض منهم أن السبب يكمن في الصراع من أجل البقاء وتأثير الغريزة التي تتطور إلى شعور وانفعال يتحول إلى سلوك متغير أو متحول عن سابقه والتي تعتبر الثورات الصناعية والسياسية والتقدم التكنولوجي والصراع الطبقي الاقتصادي القاعدة النظرية والفكرية التي قامت عليها النظريات لتفسير التغير الثقافي ، ويعد الجانب المادي السبب الرئيس في التغير الثقافي وخاصة التطور التقني والتكنولوجي. أكد (أوجبرن) على أن الثقافة المادية بما تشتمل عليه من اختراعات ومكتشفات هي العامل الرئيس في التغير الثقافي (فليه،١٩٩٨)، الأمر الذي أكدت عليه ليزلي وايت (إحدى علماء الانثروبولوجيا الحديثين الذين يؤكدون على أهمية التكنولوجيا والثقافة المادية في التقدم والتطور الثقافي حيث تفسر الثقافة بكونها تركيباً مادياً يعتمد على استخدام الرموز) موضحة اعتماد الهيكل الثقافي على الأساليب المادية التي مكنت الإنسان من السيطرة على الأرض ، وعندما نناقش قضية النمو الثقافية (Cultural Growth) يتعين علينا أن لا نقيم اعتباراً لتلك العوامل التي تتسم بالرتابة أي العوامل الغير مادية وإعطاء أهمية للعوامل المادية والأساليب الميكانيكية التي استطاع بفضلها الإنسان من استغلال مصادر الطبيعة (النكلاوي،١٩٨٠).

ويمكننا تقسيم مراحل التطور الثقافي إلى ثلاث مراحل:

١- مرحلة التقدم الثقافي الذي حققته البشرية في مرحلة اعتمادها على القوة الجسدية واختراع الإنسان وسائل النتاج البدائية ، وهذا يفسر سبب التطور الثقافي الذي حققته الحضارات القديمة كالبابلية والمصرية والصينية واليونانية عن باقي الحضارات نظراً لتطورها تقنياً وتكنولوجياً.

٢- المرحلة الثانية من التقدم الثقافي تتمثل بالثورة الصناعية والتي ارتبطت بالآلة (المصدر السابق).

٣- مرحلة ثورة المعلومات والتكنولوجيا عند نهاية الحرب العالمية الثانية وذلك في مجال الطاقة والثورة الحضرية والبيولوجية وثورة المعلومات التي جسدها اختراع الحاسب الإلكتروني (المالكي،١٩٩٨).

وبذلك نرى أن هناك موجهات جديدة للسلوك البشري ظهرت نتيجة التغير الثقافي العام والذي انعكس بصورة كبيرة على طبيعة الفعاليات المختلفة لجوانب الحياة المتعددة وطريقة ممارستها والتي تمثل الفعالية الثقافية وسبل تأديتها وتوظيفها في العمارة إحداها ، وهي فعالية تعرضت لعمليات التغير ضمن النظام العام للحياة.
أما علماء الاجتماع فيؤكدون على أن التغير الاجتماعي هو حالة طبيعية من الحالات التي يمر بها المجتمع ، ويذكر العالم (ولبرت مور) أن أهم الصفات التغيرية التي يشهدها المجتمع المعاصر هي كآلاتي:

١- التغير السريع الذي يحدث في المجتمع أو الحضارة يكون إما مستمراً أو متقطعاً.
٢- تكون التغيرات بشكل سلسلة متتابعة من الأحداث تتبعها فترات هادئة يعم فيها البناء والتعمير وتكون نتائجها على العالم كله.
٣- إن نسبة التغير في الوقت الحاضر هي أعلى من نسبة التغير في الزمن السابق.
٤- يكون التغير سريعاً في مجالات التكنولوجيا المادية وفي السياسات الاجتماعية.
٥- يؤثر التغير الطبيعي على خبرات الأفراد وعلى الجوانب الوظيفية للمجتمعات المعاصرة وذلك لتعرض المجتمع بكامله لعمليات التغير، إذ تدخل الفعالية الثقافية وتوظيفها ضمن الجوانب الوظيفية التي تعرضت للتغير (ميشيل،١٩٨٠).

التغير الثقافي وانعكاساته على النسيج الحضري والعمارة

تعّد المدنية والحضارة عنصراً هاماً وأساسياً من الثقافة وخاصة في العصر الحديث فالمدنية تعني العناصر المستخدمة من الثقافة والتي يتناولها الإنسان بالتهذيب والتفكير ويحولها إلى وسائل تحقيق غايات ملموسة وضحة ويكون انتقالها بجهد أقل مما تنتقل به الثقافة وذلك لأن عناصر الثقافة من قيم واتجاهات عقلية وارتباطات عاطفية تنتقل بين الأفراد والجماعات إذا ما تشابهت أصولها الجغرافية والتاريخية وخبرتها الاجتماعية ، وما نكتسبه من الثقافة بعناصرها الاجتماعية يصبح جزءاً من شخصيتنا (فليه،١٩٩٨).
تمثل المدنية المستوى المرئي من الثقافة والذي يعبر عن تقدمها وما أخضعه الإنسان لفكره وابتكاره ، لذا نجد العلاقة متصلة بينهما فجميع العناصر التي تقع في جانب المدنية تحمل جانباً ثقافياً ولو بدرجات مختلفة، كما أن عناصر الثقافة تحمل بلا حدود الصفة الخاصة بعناصرها المدنية. وتعبر الأنظمة الاجتماعية عن العلاقة بين الثقافة والمدنية في المجتمعات البدائية والمتقدمة على السواء. قد تكون هذه العلاقة القائمة على التأثير والتأثر بين المدنية والثقافة هي التي تفسر ما ينشأ من مقارنة وصراع في حياة الجماعة ، فقد يزداد الأخذ بالآلات الحديثة ويزداد استخدامها في مجالات الحياة دون أن تعمل الجماعة أو قطاع كبير منها على تغيير ما عندها من تقاليد وعادات ومفاهيم وتنظيم حياتها على أساسها (المصدر السابق).
يعّرف (Rapaport) الثقافة(Culture) على أنها "ممارسات لمجموعة من البشر يشتركون في مجموعة من القيم والمعتقدات ووجهات النظر ونظام الرموز التي تعلّم وتنتقل عبر الأجيال ، وهذه بدورها تخلق نظاماً من القواعد والأعراف التي تعكس الأفكار والمفاهيم فتحدد بذلك أسلوب الحياة والسلوكيات والعادات وحتى

الأشكال البنائية والعمارة " موضحاً وجود صلة وثيقة بين إدراك الإنسان للبيئة والسلوك البشري تجاهها ، وهنا فإن تصميم البيئة إنما محاولة لإعطائها شكلاً تعبيرياً واقعياً لبعض المفاهيم والأفكار والصور وتحويلها من بيئة مجردة إلى واقع ملموس يتجسد في تشكيلات فضائية مرتبطة بعلاقات تنظيمية تعبر بشكل أو بآخر عن المعنى لامتلاكه صفات وخصائص رمزية وإتصالية. تمثل هذه العلاقات التنظيمية (التنظيم الفضائي) فعل الإنسان في البيئة مجسداً القيم والمعتقدات والتقاليد وبالتالي أسلوب الحياة ، وكرد فعل عكسي تؤثر البيئة في ساكنيها وسلوكهم وأسلوب حياتهم (المالكي،٢٠٠٠).

وبهذا فإن المدنية وما أحدثه التغير التقني والتكنولوجي من تغيرات في العلاقات التنظيمية لفعل الإنسان تجاه البيئة القائمة على العلاقة من التأثير والتأثر بين ما تحدثه العادات والتقاليد من خلق نوع من السلوك يتحدد بتلك الموجهات وما تحدثه التقنية من تغيرات في أسلوب ممارسة الإنسان لفعالياته داخل بيئته مما أنتج تشكيلات فضائية وأسلوب جديد في أداء ذلك السلوك ضمن الفضاء. تمثل الفعالية الثقافية إحدى الفعاليات التي طرأ تغير على أدائها طبقاً للتغيرات العصرية وأسلوب ممارسة الفعاليات ضمن تلك التغيرات والتي لم تؤثر فقط على أدائها وممارستها وإنما على منهجية عمل أنشطتها والتشكيلات الفضائية التي احتوتها وبالتالي ظهرت إلى الأفق عمارة متخصصة توفر نوعاً من الفعالية يحددها أسلوب خاص من السلوك والتعامل مع المستهلك لتلك الفعالية وعملية التنظيم لها والذي يمثله دور المعماري في إبراز المرونة في تلك الممارسة للفعالية الثقافية.

من هنا فإن الأخذ بوسائل المدنية يؤثر على الأفراد من حيث الإعلان عن أنفسهم بالرأي والفكر، كما تعينهم في مشاركة غيرهم في قيمهم وعاداتهم وأفكارهم والتأمل فيها. ولما كانت المدينة ، والتي تجسدها التشكيلات الحضرية وجزء منها العمارة ، أحد أهم مكونات المدنية لذا فإنها توفر مجالاً واسعاً تمكن المجتمع من النظر إلى ثقافته وثقافة غيره بحيث يستطيع المشاهد للمدينة والمستعمل للعمارة أن يحدد ثقافة هذه المدينة ودرجة تقدمها وفكرها وتأريخها وعاداتها وتقاليدها من خلال ما توفره عمارتها على المستويين المادي والروحي (الرمزي) والذي يتجسد بصورة واضحة في عمارة المراكز الثقافية والإمكانات التي تقدمها في تعزيز وممارسة آلية الفعل الثقافي بوصفها مباني ذات قيمة حضارية وتاريخية ووظيفية في آن معاً.

تجارب الدول في منهجية المراكز الثقافية

تجربة الاتحاد السوفيتي (السابق) وفلسفة الأنشطة فيها

ظهرت أولى المراكز الثقافية الحديثة أول مرة في منتصف العشرينات من القرن العشرين عندما أعلن الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٢٣ عن مسابقة معمارية لتصميم مجموعة أبنية تحتوي على قاعة مسرح مدرّجة رئيسة للاجتماعات الجماهيرية ومجموعة فضاءات ترفيهية أخرى والتي كان المقصود منها تكوين مراكز ثقافية أولية سميت آنذاك " قصور العمال " التي ظهرت لأول مرة في الاتحاد السوفيتي وفي عدد من المدن المختلفة

، أضيفت بعد ذلك فعاليات ثقافية واجتماعية تكميلية إلى هذه المراكز لتغطية الهوايات المختلفة التي تدخل ضمن المنهاج التعليمي المتمثل في إقامة الدورات في جميع المجالات (الكفيشي،١٩٨٩).

أخذت تلك المراكز تتبلور بشكل واضح وترتبط بالمناطق الصناعية الكبيرة تحقيقاً للهدف الذي بدأت الدولة السوفيتية بتحقيقه منذ عام ١٩١٧(بعد الثورة الاشتراكية) والمتمثل بتعريف الشعب تأريخه وتأريخ الأمم الأخرى وكنوزها حيث نشرت أعمال لمفكرين عالميين وقوميين. لعب النشر دوراً حاسماً وهاما تجلى في نجاح مشروع إقامة تلك القصور وتخطيه المعدلات المقررة ، ولقد تولد عن هذا التراث التاريخي نشر المعرفة ضمن تنظيم جماهيري قائم على أساس التطوع من المثقفين السوفيت تحت شعار " المعرفة للشعب " والذي بضوئه أنشئت الكثير من "جمعيات المعرفة" و"بيوت الثقافة والشباب" والتي تهدف جميعها إلى:

١- مساعدة العمال في الصناعة والزراعة على تحسين مستوى تأهيلهم .

٢- تمكين الشعب من المعرفة في مجال الاقتصاد والفلسفة والقانون والتربية.

٣- نشر العلم بين الجماهير.

٤- مساعدة كل مواطن سوفيتي على إشباع اهتماماته في أي فرع من فروع المعرفة من علمية واجتماعية وأدبية وفنية أو تكنولوجية (فليه،١٩٩٨).

يركز البحث على دراسة تجارب الدول المختلفة في دعم وتطوير الثقافة وآلية الفعل الثقافي والتي تختلف في توجهاتها نسبة إلى المفاهيم والأفكار والمعتقدات السائدة في مجتمعاتها إضافة إلى درجة التطور الاجتماعي والفكري الذي تتسم به هذه المجتمعات وما ترتب على ذلك من خصائص ومميزات ظهرت في عمارة متخصصة بمثل هذا النشاط وهي عمارة المراكز الثقافية بما تعكسه من سمات حضارية متميزة.

ظهرت بعد ذلك في الثلاثينات قصور الثقافة العملاقة والتي هي تطوير لتلك المؤسسات الثقافية حيث ضمت فضاءات لفعاليات أخرى مثل قاعات المعارض الفنية وفضاءات المكتبة. أخذت هذه القصور بالانتشار في مراكز المدن الكبيرة لتكون بمثابة مركزاً ثقافياً واجتماعياً أساسياً للمدينة (**شكل ١**). بدأت تصاميم قصور الثقافة بعد تلك الفترة تأخذ شكلاً مبسطاً لتخدم مناطق سكنية معينة باعتبارها مركزاً اجتماعياً أساسياً للمدينة وظهر في هيكلها الوظيفي قاعة رياضية مسقفة ومتعددة الأغراض. تبلورت فكرة النمطية في تصاميم المراكز الثقافية وقصور الثقافة في الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية وأصبحت تأخذ شكلاً متكرراً أو تشكل جزءاً من مبنى يمثل المركز التجاري الاجتماعي للمناطق السكنية ، واعتبرت من الأبنية الأساسية والمهيمنة في مركز القطاع السكني. وأصبحت واجهة المركز تقليدياً تقع على ساحة كبيرة للتجمهر وأحياناً تقع داخل متنزهات المدينة (**شكل ٢**) (الكفيشي،١٩٨٩).

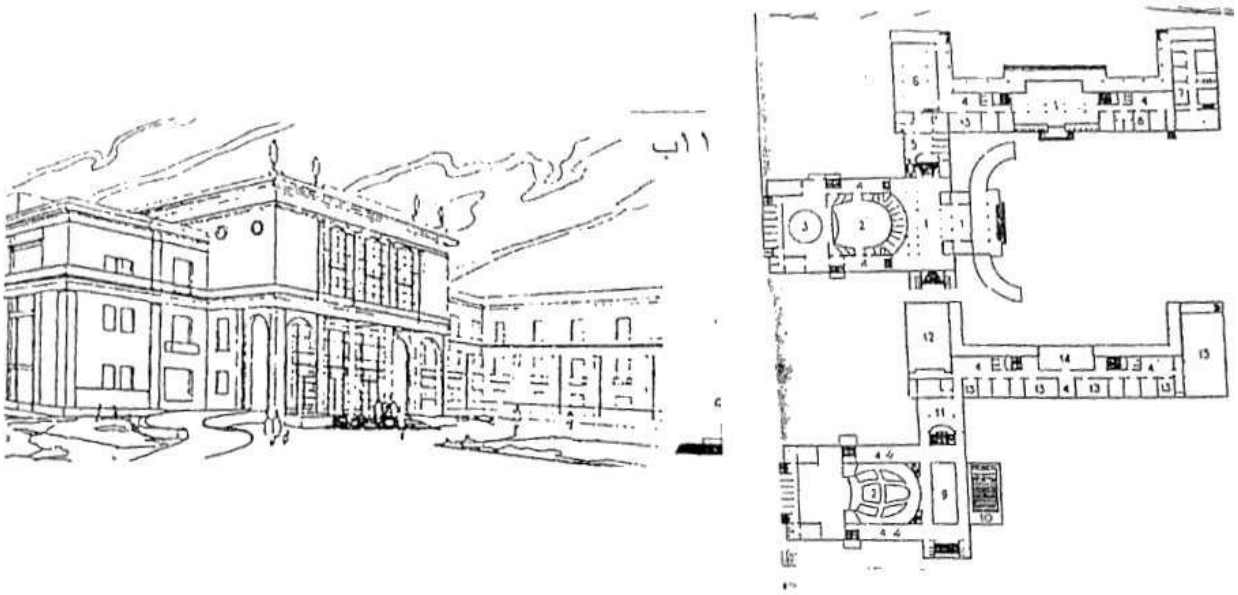

(شكل ١) قصر الثقافة المرتبط بمعمل التركنور في فلكوكراد

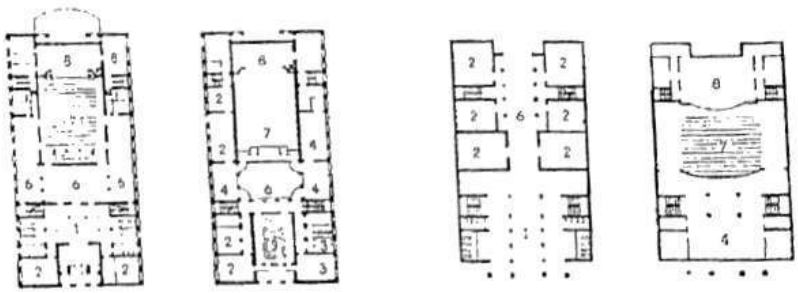

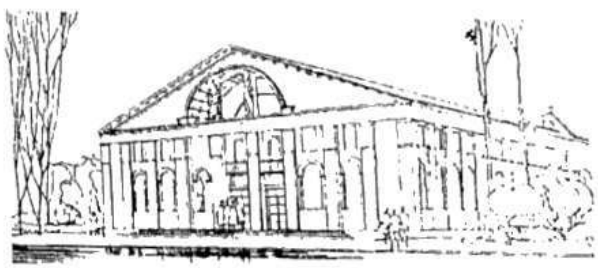

(شكل ٢) أحد قصور الثقافة النمطية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية

تجربة المراكز الثقافية في فرنسا وفلسفة أنشطتها

شهدت الحركة الفكرية والثقافية نهوضاً في فرنسا إذ نادى روادها بإعطاء الشعب نوعاً من التعليم يهتم بوقت الفراغ وتهدئة المنازعات الاجتماعية وجعل العمال أكثر تعقلاً. تمثلت هذه الجهود حينـــذاك بالمحاضـــرات

والقراءات في مجال الدين والأخلاق والتاريخ ، ومن خلال التجارب المتوالية على مدى سنوات في ميدان الثقافة الجماهيرية وصلوا إلى ما أطلق عليه "كاتدرائيات الديمقراطية" وهي الجامعات الشعبية ، وهو شعار يوضح إيمان السلطة السياسية بالمعرفة لضمان تقدم الشعب وتحريره من الجهل والتحزب كونها الطريقة الوحيدة لإخراج الشعب من حالة الانتظار والأحلام ليدخل في طور التفكير والعمل الإيجابي. وبناءً على ذلك تشكلت العديد من الأجهزة المتخصصة في العمل الثقافي مثل" شعب وثقافة " و " مراكز الثقافة العالمية " والتي أقيمت بجهود شعبية نشطت بعد الحرب العالمية الثانية في فرنسا كان البعض منها رسمياً بدعم من الدولة تمثلت بالمباني الآتية:

١- معاهد إعداد المحرك الثقافي، وهي مهيأة لاستقبال الشباب من جميع أنحاء العالم للتدريب على العمل الثقافي، معدة لتقديم إمكانيات التدريب على الهوايات في شتى المجالات الثقافية من مسرح وموسيقى وسينما وفنون تشكيلية.

٢- بيوت الثقافة، وتشمل قاعة عرض سينمائي وقاعات للمعارض والحفلات والموسيقى.

٣- بتوت الثقافة والشباب، وهي مجمعات للشباب لممارسة هواياتهم التي ترضي ميولهم، تشرف عليها وزارة الشباب.

٤- المؤسسات الثقافية الخاصة ، وتقوم بنفس الرسالة والتي تمثلت بظهور المراكز الثقافية الحديثة على غرار تلك التي ظهرت في الاتحاد السوفيتي (فليه،١٩٨٩)

شهدت أوربا في فترة الخمسينيات من القرن العشرين بداية ظهور المراكز الثقافية وذلك بإنشاء مركز (Le Haver) الثقافي الفرنسي عام ١٩٥٢ ومركز هلسنكي الثقافي عام ١٩٥٥. يعّد ظهور تلك المراكز بداية التطور الكبير في إنشاء المراكز الثقافية وانتشارها والذي جاء متزامناً مع التطورات الكبيرة التي شهدتها فروع الحياة المختلفة وعلى كافة المستويات فظهرت الحاجة المتزايدة لإنشاء مثل هذه المراكز وتلبية حاجة المجتمع من النواحي الثقافية المختلفة فكانت هناك مراكز ثقافية كبيرة في المدن الرئيسة تضم مختلف الفعاليات المتنوعة كما ظهرت مراكز أخرى أقل حجماً في المدن والتجمعات الصغيرة (الكفيشي،١٩٨٩).

بدأت بعدها تتطور تدريجياً وظيفة وفعاليات المراكز الثقافية لتمثل أبرز الأبنية في مراكز المدن ولتحقق لها موقعاً عالمياً نابعاً من طبيعة فعالياتها الكبيرة والواسعة النطاق (والتي سنأتي على ذكرها في التحليل المقارن لاستخراج أهم الفعاليات المؤثرة فيها كونها تمثل أبرز ما توصلت له عمارة المراكز الثقافية من تطور في العمارة واتساع في ممارسة تلك الفعالية).

تجربة المراكز الثقافية في مصر وفلسفة أنشطتها (مثال عربي)

تعّد قصور الثقافة في مصر أحد أجهزة الثقافة الجماهيرية التي هي من أهم مؤسسات الدولة الثقافية بحكم الوعي بالمسؤولية القومية وبالاستراتيجية الثقافية وأبعادها خدمة للأهداف الوطنية. يعود بروز الفعاليات الثقافية في مصر إلى الفترة التي ظهرت فيها حركة الثقافة الجماهيرية الشعبية في نهاية الأربعينات من القرن

العشرين متأثرة بالاتجاهات الغربية. وفي عام ١٩٤٥ تم إنشاء جامعة شعبية بمدينة القاهرة لتقديم الخدمات الثقافية بهيكل تعليمي وكان لنجاحها أن أنشئت خمسة عشر فرعاً لها في عواصم المديريات أطلق عليها أسم "المراكز الثقافية" عدلت تسميتها إلى "مؤسسة الثقافة الشعبية" في عام ١٩٤٨ لتدعيم كيانها وتوضيح أغراضها حتى يتحقق لها الاستقرار حيث اتسعت رسالتها ولم تعد تقف عند حد تعليم الكبار أو تثقيف الراغبين في المعرفة والثقافة ، بل شملت التدريب على الهوايات والفنون المختلفة في أوقات الفراغ. وفي عام ١٩٥٧ تقرر تغيير اسم مؤسسة الثقافة الشعبية إلى "جامعة الثقافة الحرة" وتغيير تسمية فروعها في الأقاليم إلى "المراكز الثقافية" حيث تضمنت المرحلة الأولى من خطة التنمية إنشاء ١٥ قصراً للثقافة وتضمنت أنشطة تلك المراكز توفير الثقافة السياسية والاجتماعية فيما يخص التاريخ والأخلاق والآداب ومواضيع أخرى تضمنتها تلك الفعاليات التي تجري ضمن تلك المراكز (فليه،١٩٩٨). تبذل الثقافة الجماهيرية جهودها في مصر من خلال قصور الثقافة لتحقيق هدفها الرئيس وهو صقل الشخصية في شتى المجالات والميادين في الفنون ، المسرح ، الموسيقى ، السينما ، ثقافة الطفل ، ثقافة الشباب والمرأة والثقافة العامة. كما تشجع الفنون التلقائية في مجال الفن الشعبي والحرف البيئية في عروضها الناجحة. لقد بلغ عدد قصور الثقافة المنتشرة على مستوى الدولة ٤٤ قصراً يرتبط بها ٦ مراكز طفل متخصص و ٩١ مكتبة فرعية في مصر و٦ قصور متخصصة في القاهرة والإسكندرية.

تشمل أنواع النشاط الثقافي في قصور الثقافة المصرية:

١- النشاط المسرحي.
٢- النشاط الموسيقي.
٣- النشاط السينمائي.
٤- فنون تشكيلية ، وتشمل المعارض الفنية ومعارض الحرف البيئية والدورات الفنية.
٥- نشاط مكتبات ، ويشمل المعارض والمحاضرات والندوات والمسابقات.
٦- نشاط الثقافة العامة ، ويشمل المحاضرات والندوات واللقاءات الأدبية ودورات محو الأمية.
٧- نشاط القوافل والمهرجانات.
٨- ثقافة القرية ، وتتضمن الأسابيع الثقافية ومحو الأمية والدراسات والبحوث ، إضافة إلى المشاركة في مسابقات تحت شعار (نحو إبداع مصري أصيل) في مجال بحوث البيئة والتنمية الثقافية.
٩- ثقافة الطفل ، وتشمل المكتبات والفنون التشكيلية والسينما والفانوس السحري والموسيقى والمسرح والرحلات ، إضافة إلى الأبحاث المتخصصة وتنظيم الدورات التدريبية للعاملين في مجال الطفولة.

التربية البوليتكنيكية وأنشطة قصور الثقافة في مصر

يعني مفهوم التربية البوليتكنيكية سد الفجوة بين التعليم والتدريب المهني والعملي وهي نوع من التربية تجمع بين الجوانب المعرفية المختلفة من مواد نظرية ومواد فنية عامة تؤدي إلى إكساب الفرد الاتجاهات السليمة نحو العمل وتقديره وإدراك العلاقة بين طرق الإنتاج والمهارات الفنية وأسسها النظرية.

تهدف إلى إعداد أجيال من الشباب عن طريق المنافع وعن طريق خلق الاحترام العميق لدى الشباب للمبادئ الأساسية للمجتمع. يتم ذلك بافتراض أن تعليم الفنون التطبيقية هو الصورة الصحيحة للتعليم العام ، حيث ينظم حول القوى الإنتاجية الأساسية في المجتمع الصناعي والزراعي. وتلتقي في ذاك مع الأنشطة في قصور الثقافة إذ تعمل على زيادة الحصيلة المعرفية والمهارات لدى الأفراد في جميع المستويات المعرفية والعمرية، وذلك عن طريق النشاطات المختلفة فيها من ندوات وحفلات موسيقية وعروض مسرحية ومعارض فنية تشكيلية ودورات مختلفة لرفع مستوى الأداء المهني ، بالإضافة إلى ما يمكن أن توفره من دورات لتعليم الكمبيوتر بمجالاته الواسعة والدور البنّاء الذي تقوم به مكتبات قصور الثقافة في نشر رسالتها التثقيفية لجميع الأفراد في مساحة زمنية طويلة يومياً (فليه، ١٩٩٨). وبهذا فإن بإمكان قصور الثقافة أن تلعب دوراً في تربية جيل يمتلك طبقة راسخة من الأفكار مدعمة على كافة مستوياتها بالعلم والمعرفة و لتنشئة الصحيحة تؤهله لامتلاك نوع من الاختيار الصحيح في تحديد مساره المستقبلي بما يرفع مستواه الثقافي والعلمي والمهني ويعود بالنفع عليه ويؤهله في مجاراة التطور الثقافي السريع الذي يتطور يوماً بعد يوم في أفكاره وأساليبه وممارسته كفعل ثقافي.

نستنتج مما سبق أن جميع التجارب السابقة التي قامت بالعمل على إيجاد مراكز تضم فعاليات ثقافية متنوعة اعتمدت بالأساس على ايقاض الشعور الروحي والقومي لقيمة التراث الفكري الإنساني والتي تهدف للوصول إلى طبقات المجتمع البسيطة والعمل على رفع مستواها الثقافي خاصة عقب فترات عدم الاستقرار الروحي و لفكري والمادي التي شهدتها العديد من المجتمعات الأمر الذي أدى إلى ضعف مستوى تقبل المجتمع للثقافة ، إضافة إلى توفير فرص العمل والتعرف على تراث وتاريخ وفكر الثقافات الأخرى. لهذا الغرض تم التوجه إلى إنشاء تلك المراكز والتي من خلالها يتم تكوين تنظيم جماهيري تحدده العلاقة القائمة بين فعاليات تلك المراكز وبين الجمهور المستخدم لها (ليس جمهور متفرج فقط) وذلك لغرض إدخال المجتمع بصورة فعالة في أنشطة تلك المراكز من خلال ما توفره من وظائف وفعاليات لممارسة هواياتهم وتفجير طاقاتهم الإبداعية مما يعود بالنفع على كافة المستويات المستخدمة للمبنى سواء على المستوى الشخصي للفرد أم على المستوى العام للمجتمع.

لقد حققت تلك المراكز في ضرورة حضورها عدة أهداف منها:

١- رفع المستوى الثقافي وعلى كافة مستوياته للمجتمع.

٢- استقطاب شرائح مختلفة من المجتمع وبالتالي يصبح المركز مكاناً لالتقاء أفراد المجتمع بعضهم ببعض.

٣- اشتراك الجمهور في العملية الثقافية وتفجير طاقاته الإبداعية وممارسة هواياته.

٤- ترجمة خصائص الثقافة في التواصل والعطاء من خلال عرض ودراسة النتاج الثقافي للماضي وتوفير فرص استثماره في الحاضر وبصورته المعاصرة.

٥- تحقيق الخصوصية الثقافية والحضارية لكل مجتمع من خلال ما يعرضه المركز من نتاج ثقافي وفعاليات تعكس الهوية الحضارية والتاريخية للشعوب المختلفة.

يحاول البحث دراسة أبعاد توظيف الفعالية الثقافية وانعكاساتها على المجتمع ، وكيفية ممارسة الفعل الثقافي في العصر الحديث من خلال عمارة المراكز الثقافية.

المفاهيم التصميمية وفلسفة الأنشطة لأبرز المراكز الثقافية العالمية والعربية والمحلية

سيتم التطرق لأهم المفاهيم الأساسية التي تدخل في تصاميم المراكز الثقافية العالمية والمحلية عن طريق التحليل للمخططات الأساسية لتلك المراكز للتوصل إلى أهم المكونات الوظيفية التي تدخل في تكوينها وبالتالي أهم الأنشطة الثقافية التي تعكس المكونات الوظيفية لتلك المراكز لغرض مقارنتها وقياس أهم التغيرات التي طرأت على آلية ممارسة الفعل الثقافي في العصر الحديث ومدى تنوع تناولها بين البلدان المختلفة للتوصل إلى مكونات المركز الثقافي المتكامل من الناحية الوظيفية ، وتحليل التوجه الفكري المؤثر عليه والذي يتضح كنشاط ثقافي وخصائص معمارية ذات حضور متميز في عمارته.

الأمثلة العالمية

المركز الثقافي الوطني في باريس (مركز جورج بومبيدو)

يعد مركز (جورج بومبيدو) الثقافي في باريس من أهم المراكز الثقافية التي أخذت شهرة واسعة من حيث الوظيفة التي يقدمها ونوع الفعاليات التي امتازت بالتجديد والخروج عن التقليد في أداء الفعاليات الثقافية كجزء من الانعكاسات التي أضافتها التكنولوجيا البنائية في العصر الحديث. وعلى الرغم من المعارضة التي تلقاها تصميمه في البداية لكونه دخيلاً على طبيعة المنطقة التاريخية (Beau Bourg) إلا أنه استقطب في السنة الأولى من افتتاحه حوالي ستة ملايين زائر. جاء قرار اختيار تصاميمه بناء على مسابقة دولية تم اختيار تصميم المعماريين (Richard Rogers) و (Renzo Piano) والتي جاءت أفكارهم التصميمية لتمثل عمارة التيار المعماري الحديث متمثلة بما يسمى "عمارة التقنيات العالية ".

كان الهدف من إنشاء المركز هو إعطاء بعداً آخر لمراحل ازدهار الفن والثقافة في فرنسا وبالتالي الحصول على شكل يكون في النهاية رمزاً لتلك الصفة من خلال هذا المبنى. فقد كان التكوين والشكل العام يهدف إلى إعطاء نوع من الشعور لكافة شرائح المجتمع في الحاجة إلى منح مدينة باريس معلماً ثقافياً آخر من خلال هذا المبنى يضاف إلى بقية الأبنية المهمة في باريس مثل برج أيفل ، متحف اللوفر ، المكتبة الوطنية ،

لإضفاء السيادة في المدينة بوصفها العاصمة التي تتسلم النتاج الثقافي من كافة المدن الأخرى ليتم عرضه من خلال هذا المركز (Special Report,1989) .

تم توظيف شكل الماكنة ومرونتها في الثقافة حيث تضمن المنهاج جميع مكونات المركز الثقافي مع متحف الفن الحديث والمكتبة العامة على مستوى المدينة بالإضافة إلى أن المركز تضمن مركزاً سمعياً وبصرياً (شكل ٣). (Curtis,1997)

طبيعة الأنشطة داخل المركز

صمم المبنى ليعمل بوصفه ماكنة أو مصنع لإنتاج المعلومات وقناة للمعلومات ترتبط مع مصادر العلم والثقافة العالمية والمحلية من مراكز ثقافية ومكتبات ومتاحف وجامعات ومؤسسات ثقافية أخرى. ومن خلال طبيعة الأداء الثقافي الواسع جداً وكمية وتنوع المعالجات التقنية والتكنولوجية ، حقق المركز نوعاً من العالمية في طبيعة عمله وخاصة في كيفية أداء الفعاليات الثقافية التي أعطت المركز نوعاً من الحيوية والتجديد في استعماله ، يتضح ذلك في اعتماد المكتبة مثلاً على أفلام المايكروفلم أو المعلومات السمعية والبصرية بدلاً من الكتب المخزونة مجاراةً للتطور العلمي والتقني في هذا المجال.

إن إضافة المكتبة ومتحف الفن الحديث ومركز الأبحاث الموسيقية ومركز التصميم الصناعي لفعاليات المركز حقق نوعاً من الفعالية والنشاط اليومي المعتمد أساسا على الإنتاج الفني والثقافي أكثر من العرض وأعطى نوع من الحيوية في عمله بدلاً من الفعاليات الأخرى التي تقيد عمله باستمرار على مدار اليوم خاصة العروض المسرحية وأدائها التي تبقى مرتبطة بمنهاج عمل تلك الفعاليات. ومن هنا تأتي طبيعة المكونات الوظيفية في زيادة فعالية المركز الثقافي وجعله مستمراً طوال اليوم وبالتالي يكون عنصر استقطاب لمستخدمي المركز.

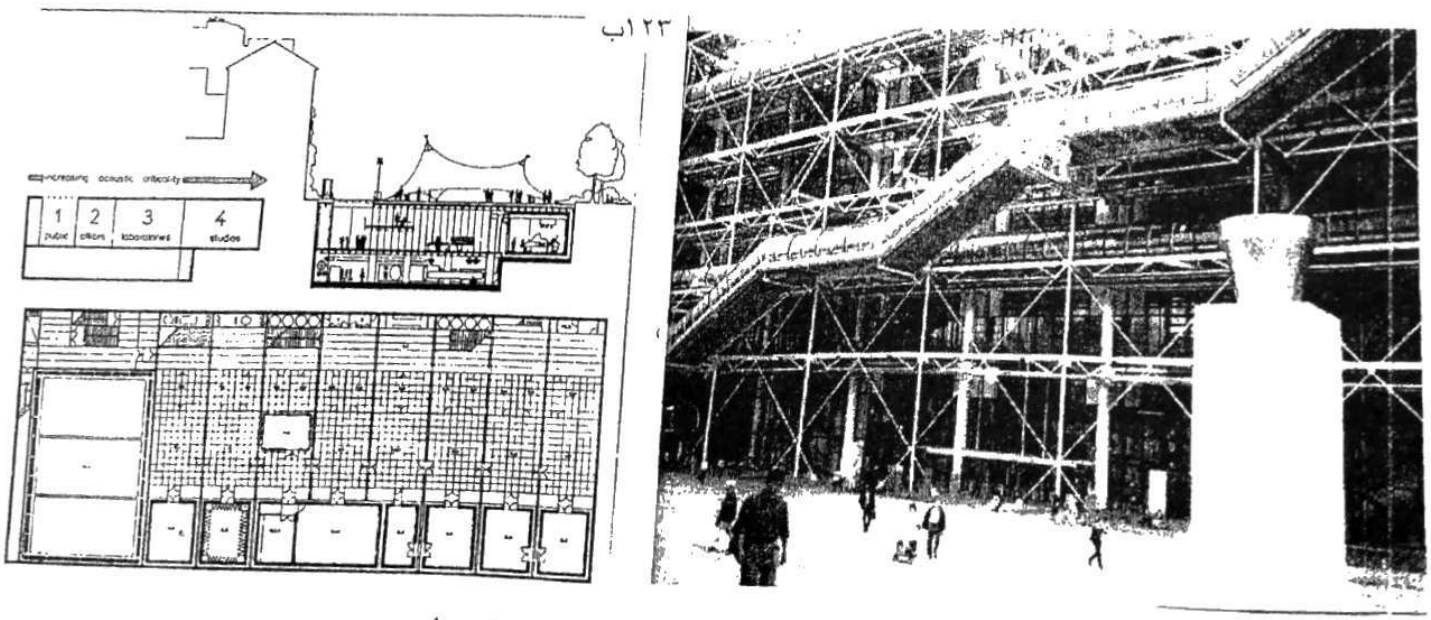

(شكل ٣) مركز جورج بومبيدو في باريس

المراكز الثقافية في اليابان (المركز الثقافي الوطني في طوكيو)

يعّد المركز الثقافي الوطني للمعماري (ماساهيرو) والذي اكتمل بناءه عام ١٩٨٩ من أهم المراكز الثقافية أكبرها حجماً في اليابان. أعطى شكل المبنى غير التقليدي نوعاً من الانطباع البصري الذي جعله متميزاً عن باقي المباني الأخرى والمشابهة له في الوظيفة والفعالية. تنطلق الفلسفة التصميمية للمشروع من فكرة كون الأبنية الثقافية الموجودة في المدينة من مكتبات ومسارح ومراكز ثقافية قائمة أو مؤسسات اجتماعية لها معالجات خاصة متشابهة أحيانا تعطي انطباع الأبنية التعليمية أو الإدارية الموجودة في نفس المنطقة ، لذا فإن إضفاء نفس المعالجات المعمارية السائدة على أبنية المراكز الثقافية أيضاً يجعلها تظهر بشكل ممل وغير مشجع لارتيادها وتوحي بتشابه عملها الوظيفي مع عمل الأبنية التعليمية الأخرى.(**شكل ٤**) (A & U, NO185, 1986).

تم الاعتماد في تصميم المركز على عدة نقاط أساسية تخدم الفلسفة التصميمية المقترحة في إعطاءه نوع من التميز وإضفاء عناصر الجذب التي تخدم وظيفته الرئيسة تتمثل بالآتي:

١- الكيفية التي تم التعامل بها مع الشكل الخارجي للمبنى والذي تراوح بين استعمال الجدران والواجهات النابعة من تأثيرات التيارات العضوية متزاوجة مع التدرجات في الشكل الخارجي المأخوذة أصلا من تدرجات المباني اليابانية القديمة (**شكل ٥**).

٢- استعمال المواد الإنشائية والتقنيات الحديثة في التعامل مع الشكل النهائي للمبنى والذي يتكون من الحديد والزجاج بوصفها رموز العمارة الحديثة التي ميزت أغلب المباني العامة في المدن اليابانية ، والذي عمل على استقطاب العديد من الزوار لهذا المبنى ، كما تم تنظيم حركتهم وتعاملهم داخل المبنى والخدمات المتنوعة التي يقدمها المبنى لهم.

٣- طبيعة التعامل مع الفضاءات الداخلية والتي صممت بأشكال غير هندسية نابعة من الأشكال التي تميزت بها العمارة العضوية والتي كونت مسالك الحركة الداخلية بشكل عضوي مما أضفى على المبنى نوع من الحركة والإحساس بالانسيابية داخل الفضاءات ، ومكان شعر الناس فيه بالإثارة مع ما يقدمه لهم من خدمات ثقافية من حيث الخبرة وتعلم الهوايات (**شكل ٦**).

أنشطة المركز ومكوناته الوظيفية

تضمن المركز العديد من الفعاليات الثقافية بالإضافة إلى الفعاليات الرياضية والترفيهية والتي تنوعت عبر اختلاف الطوابق الخمسة للمبنى بين قاعات عرض وموسيقى وقاعات ألعاب رياضية وقاعات اجتماعات ومحاضرات وغرف بحوث بالإضافة إلى الفضاءات التي تميز بها المركز والتي عكست بعض الفعاليات التقليدية اليابانية مثل قاعات استراحة وبيت الشاي الياباني والذي عكس في طبيعة تصميمه الداخلي العناصر الرمزية للبيت الياباني التقليدي بالإضافة إلى الحدائق اليابانية التي تميز المركز بوجودها على مدرجاته الخارجية في كل طابق.

أعطت طبيعة الفعاليات وتنوعها داخل المركز نوعاً من الحيوية والنشاط في عمل المركز اليومي وتشجيع العديد من الفعاليات نتيجة للاستعمال الفعلي وبصورة صحيحة لعناصر الجذب التي اعتمد عليها المركز في زيادة تفصيل وظيفته التي تنوعت بين الثقافية والرياضية والترفيهية المتعددة مما مكن المركز من أن يكون مكاناً لاجتماع والتقاء أفراد المجتمع من مختلف الطبقات الثقافية وهو الهدف الذي لابد أن يحققه أي مركز ثقافي من خلال فعالياته المتنوعة. يكمن الهدف في الوصول إلى كافة الطبقات الثقافية في المجتمع وبالتالي تحقيق أبرز أهداف وجود المركز الثقافي وهو رفع المستوى الثقافي لكافة أفراد المجتمع وإتاحة فرص بروز إبداعاتهم وعرضها من خلال فضاءات المركز المخصصة للهوايات والعرض ، كذلك إتاحة الفرصة لعديد من شرائح المجتمع لتعلم الحرف الشعبية والصناعات اليدوية الفنية من خلال توفر ورش عمل خاصة داخل المركز.

(شكل ٤) المركز الثقافي الوطني في طوكيو

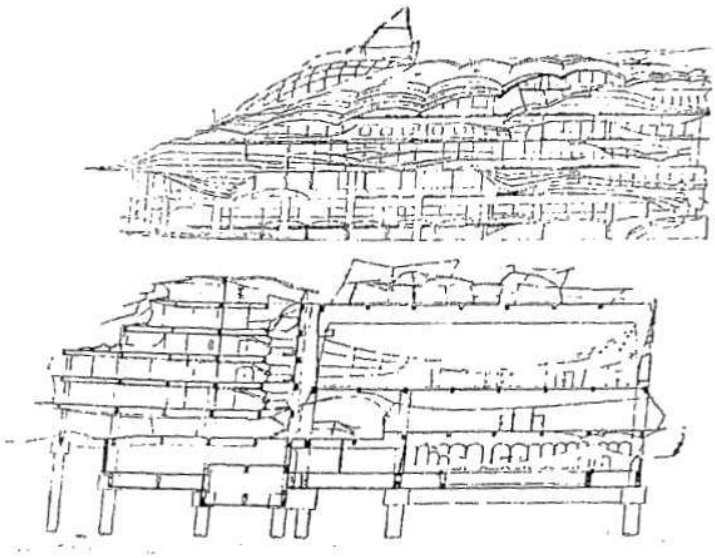

(شكل ٥) واجهة ومقطع توضح توظيف التقنية في إعطاء التدرجات المميزة للعمارة التقليدية اليابانية

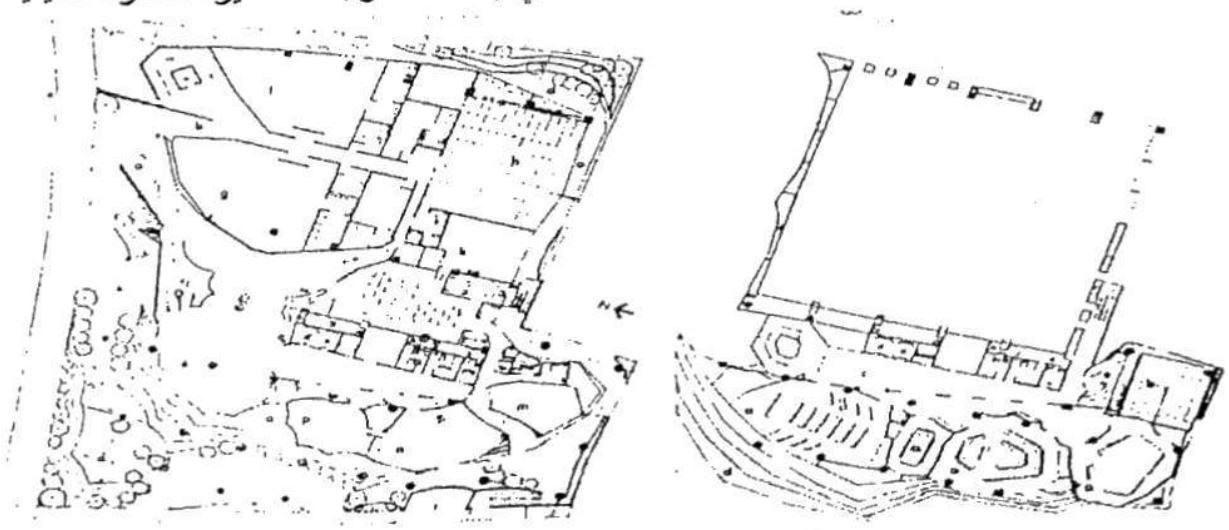

(شكل ٦) يوضح مخطط الطابقين الأول والأرضي

الأمثلة العربية

دار الأوبرا في مصر (المركز الثقافي القومي)

تمثل دار الأوبرا المصرية والتي تؤدي وظيفة المركز الثقافي القومي في مصر أحد أهم الشواخص الحضارية المهمة ذات الفعاليات والأنشطة الثقافية العالية المستوى والذي لا يوجد له مثيل في حجم عمله والخدمة التي يؤديها على مستوى الوطن العربي.

أنشطة المركز ومكوناته الوظيفية

تشكل العروض الاوبرالية الجزء المهم من عمل المركز بالإضافة إلى فعاليات ثقافية أخرى يقدمها المركز مثل العروض الفنية للفنون التشكيلية والنحت. ولعل أهم ما يميز المنهاج الثقافي للمركز إلى جانب نشاطه الرئيس في العرض الاوبرالي ومعارض الفنون الأخرى احتواءه على منهاج عمل للتدريب على تلك الفنون معتمداً على مفهوم البولي تكنيك الذي سبق الإشارة إليه في البحث ، والذي يسعى إلى أن يكون التعليم ممتزجاً بالعمل المنتج أو بالعمل ذي النفع الاجتماعي ، حيث ينفذ التلميذ ما يدرسه من مواد نظرية في المجالات الفنية والثقافية والصناعية والتعليمية المختلفة التي يعمل بها مكتسباً مهارات الأداء العالية ومتقناً لها بما يعود بالنفع عليه في مستقبل حياته (فليه،١٩٩٨).

اعتمد تصميم المركز على استخدام رموز العمارة العربية الإسلامية سواء على المستوى التخطيطي أو الشكل الخارجي. فقد تم استخدام الأشكال الهندسية المنتظمة في المخططات الرئيسة للمركز وخاصة الشكل المربع وتكراره لجميع فضاءات الدار، والذي يعّد أحد الأشكال المتميزة في العمارة الإسلامية فهو يعبر عن المركزية والتي تعني وحدانية الله والمساواة التي يدعو إليها الإسلام (**شكل ٧**).

تتمحور المكونات الوظيفية للمركز حول فعاليتين رئيستين تؤدي وظيفتي العرض والتدريب الفني والحرفي والدراسة النظرية. تشمل الفعاليتين العرض المسرحي والذي خصص للعرض الاوبرالي ويمثل الفعالية الرئيسة للمركز والتي منها جاءت تسميته بدار الأوبرا ، والمعارض الفنية للفنون التشكيلية والنحت.

يمتاز تصميم المركز بعدد من المميزات هي كالآتي :

١- تم ترتيب فضاءات المركز بحيث تتمحور حول فضاء مركزي يخدم الوظيفة الرئيسة التي يقدمها وهي صالة الأوبرا الكبرى والتي خصصت لها صالة انتظار في الطابقين الأرضي والأول مقابل بهو الدخول للمركز (**شكل ٨**).

٢- شكلت مساحة المسرح والصالة الكبرى وملحقاتها جزءاً كبيراً من مساحة المبنى على مستوى المخطط والمقطع ، حيث تم تخصيص دخول خاص للمشاهدين والذي يشكل الجزء المهيمن من الواجهة الأمامية للمركز ودخول خاص للممثلين من الجهة المقابلة للدخول الرئيس تم تخصيصها للمسرح في الطابق

الأرضي الأمر الذي حقق نوعاً من المحورية في النشاط الاوبرالي بوصفه نشاط رئيس للمركز تصب فيه الفعاليات الأخرى.

٣- جاء تصميم الحركة بحيث ترتبط فعاليات المركز الأخرى مع بعضها البعض مكونة حركة حلقية حول الفعالية الرئيسة والذي يمكن أن يوفر نوعاً من التنظيم لمنهاج عمل فعاليات المركز بحيث تعمل الفعاليات ذات المنهاج البسيط اليومي مثل فعاليات التدريب والدراسة بمعزل ودون أن تؤثر في فعاليات العرض الفني والمسرحي التي تتطلب منهاج قد يكون شهري أو أسبوعي أو سنوي حسب نشاط وفعالية المركز.

٤- عكس الشكل الخارجي الضخامة الكتلية التي تعرضها صالات الأوبرا والتي تم معالجة ارتفاعها باستخدام القبة بوصفها رمز من رموز العمارة العربية الإسلامية مع التشديد على استخدام الطراز الفاطمي في شكل القباب التي غطت بهو الدخول أيضاً ، بالإضافة إلى الصالة إذ أعطى التنوع في حجمها نوعاً من التدرج في عملية دخول المركز ودلالة للزائر إلى الصالة الرئيسة ، وكذلك استخدام الأروقة ذات العقود الإسلامية التي ميزت واجهات المركز ومناطق الدخول.

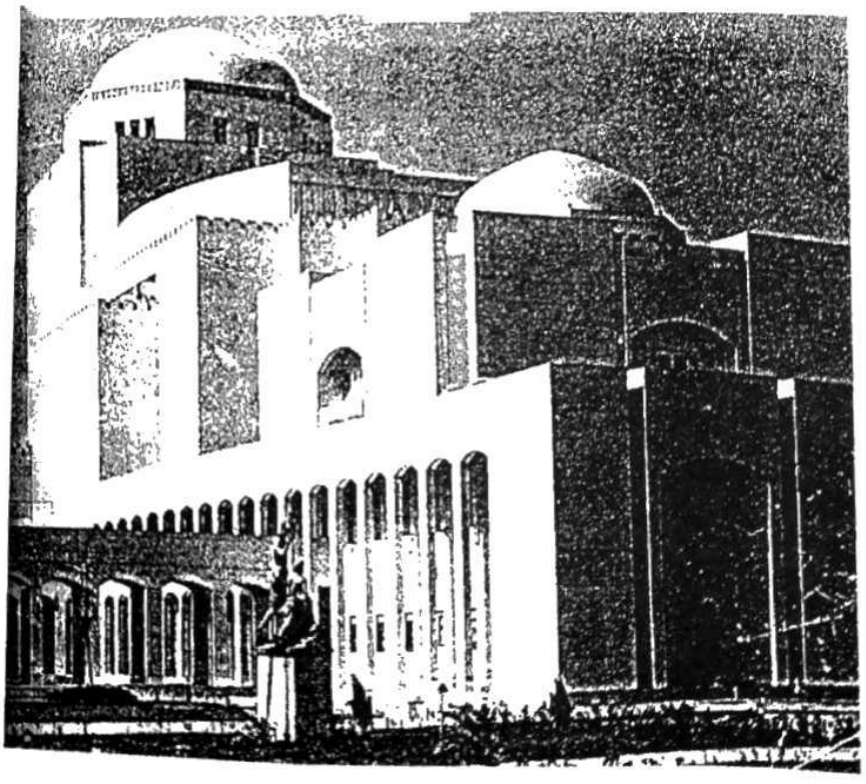

(شكل ٧) المركز الثقافي القومي – دار الاوبرا – في مصر

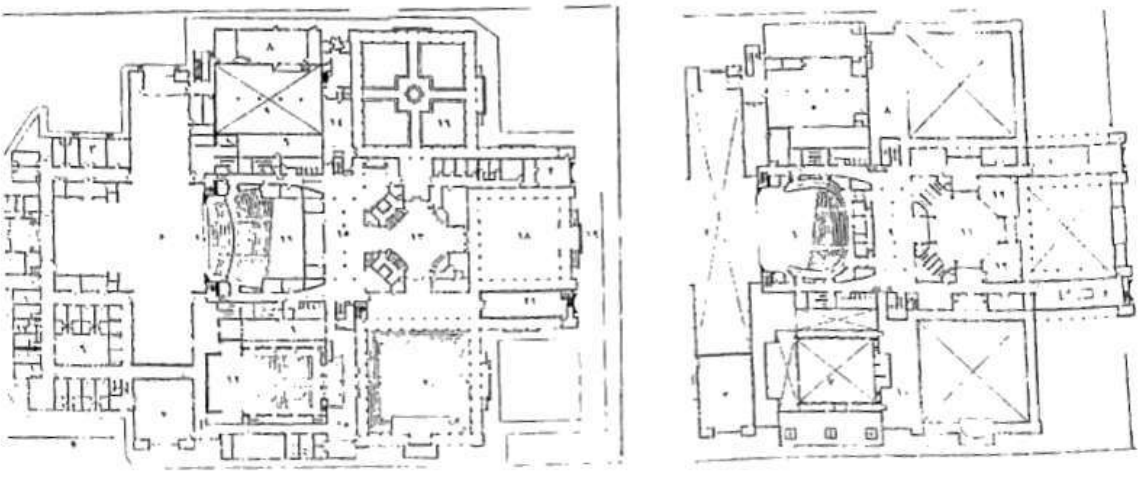

(شكل ٨) مخططات المركز

الأمثلة المحلية

مركز صدام للفنون

تم افتتاح المركز مع المشروع السكني لشارع حيفا في نيسان ١٩٨٦ والذي دب فيه نشاط فني متصاعد يلبي متطلبات الحياة الثقافية المعاصرة ويكون مركزاً يهتم بواقع الحركة التشكيلية وارتباطاتها المتفرعة ببقية صنوف الفنون والمعرفة.

أنشطة المركز ومكوناته الوظيفية

تتوزع فعاليات المركز على أربعة طوابق ، يتضمن الطابق الأرضي مجموعة متداخلة من الأروقة والصالات مخصصة لنوعين من العروض المتحركة والثابتة إضافة إلى قاعة للعروض الخاصة ، وصالة استقبال كبرى وورشة متخصصة لصيانة الأعمال الفنية. أما الطابق الأول فيحتوي على صالات وأروقة مفتوحة للعرض تشكل امتداداً لفعاليات الطابق الأرضي ، إضافة إلى احتوائه على قاعة متخصصة لأعمال الخزف العراقي بجميع مراحله ، كما يحتوي على كافيتريا وقاعة مغلقة لعروض متنوعة. يتألف الطابق الثاني من قسمين رئيسين ، يمثل الأول المكاتب الإدارية بينما يشغل القسم الثاني متحف الفنانين الرواد منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين والذي تميز بطبيعة الفن الحديث والأعمال التي تصور الطبيعة العراقية وواقع وخصائص البيئة التقليدية في العراق ، إضافة إلى احتواء الطابق على مكتبة فنية ونقدية وتوثيقية في مضمار الفن التشكيلي واحتواءها على الموسوعات والدراسات الفلسفية وأقسام

التوثيق التشكيلي مع قسم سمعية وبصرية يهتم بكافة جوانب الحركة الفنية والتشكيلية. أما الطابق الثالث فيضم مقتنيات المركز من الأعمال الفنية للفنانين الشباب والرواد العراقيين ، في حين يتكون الطابق الرابع من قسمين ، يعرض القسم الأول أعمال الكرافيك من مقتنيات المركز لفنانين عراقيين وعرب وعالميين بينما يعرض القسم الثاني أعمال الخط العراقي والزخرفة الإسلامية. (**شكل ٩**) يوضح مدخل المركز وبعض قاعات المحاضرات والعرض الفني.

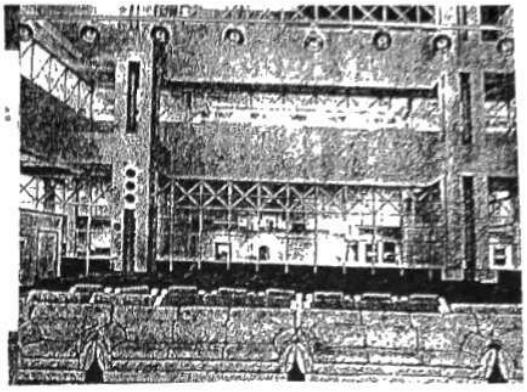

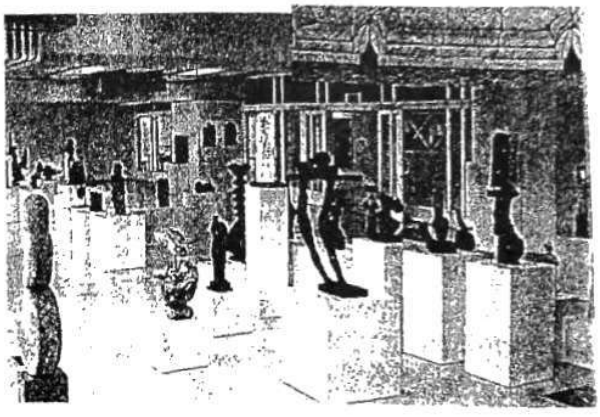

(شكل ٩)

يهدف المركز إلى نشر المفاهيم الجمالية والتذوق الفني وإرساء تقاليد حضارية جديدة قادرة على احتواء النشاط الفني عن طريق تنظيم البرامج الثقافية وإقامة الندوات والدورات والمحاضرات وتنظيم اللقاءات ذات الحوار الحر وكذلك تنظيم ألاماسي الشعرية والموسيقية والمسرحية والسينمائية ، لذا تميز كمركز للفنون اقتصرت نشاطاته على إبراز دور الفن التشكيلي بكافة مستوياته وأبعاده ، أعطى الحركة التشكيلية في العراق نوعاً من الحيوية والنشاط وأبرز تجربة يمكن تعميمها لتشمل المستويات الثقافية الأخرى.

الاستنتاجات

١- يشكل المركز الثقافي في العصر الحديث مبنى يجمع شمولية الفعالية الثقافية وتعددية تخصصاتها في مبنى واحد وفق المستجدات الثقافية والحضارية الحديثة ، فهو مبنى عام يطرح الخصوصية الثقافية

للمجتمع وعلى كافة مستوياتها بصورة ملموسة وشاملة سواء على هيأة فعاليات داخل المبنى أو على شكل نتاج معماري.

٢- تعّد قصور الثقافة أو المراكز الثقافية الحديثة أحد أدوات الثقافة الجماهيرية والتي هي سمة العصر ، حيث تعتمد طبيعة أداءيتها على التفاعل المباشر بين الجمهور والمثقفين على كافة مستويات الثقافة والتي يتم عرضها وتلقيها وفق منهاج تميزت تلك المراكز وتوجهاتها في عرضه على شكل ناتج ثقافي ومن خلال مبنى متخصص يحتوي فعالياته.

٣- عملت عوامل التغير الثقافي في العصر الحديث والتي أهمها التطور التقني والتكنولوجي في تغيير آلية الفعل الثقافي والتي جسدتها المراكز الثقافية الحديثة. شمل هذا التغير الجوانب المادية من الثقافة حيث يعّدها علماء الانثروبولوجيا الجزء الرئيس في عملية التغير الثقافي.

٤- شملت مراحل التطور الثقافي في العصر الحديث ثلاث مراحل هي مرحلة التقدم الثقافي والتي تمثلت في التقدم الذي حققته البشرية في مرحلة اعتمادها على القوة الجسدية واختلاف مراحل تقدمها في الحضارات المختلفة وتطور بعضها عن البعض الآخر باختلاف نسبة تقدمها في الأساليب التقنية والجوانب المادية من الحياة ، ومرحلة الثورة الصناعية ومرحلة الثورة المعلوماتية ودخول التكنولوجيا في مجالات الحياة كافة والتي منها الثقافة وفعالياتها.

٥- شمل التطور والتغير الثقافي المدينة بشكل عام والعمارة بشكل خاص إذ عبرت العمارة عن المستوى المرئي للثقافة بالإضافة إلى ما شمله التغير الثقافي من تغيير في شبكة الفعاليات داخل المدينة سواء البشرية منها والتي تشكل العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي جزء رئيسي منها، بالإضافة إلى التغير في الفضاءات العمرانية وأسلوب استخدامها والتي عبرت عنها العمارة بوصفها انعكاساً مادياً لهذا التغير والذي تمثل بظهور المراكز الثقافية الحديثة التي من خلالها يتم ممارسة وأداء الفعالية الثقافية نتيجة تأثر التغير العمراني بتغير شبكة الفعاليات البشرية.

٦- اتصفت تجربة المراكز الثقافية الأولية في الاتحاد السوفيتي (السابق) بظهور عدد من قصور الثقافة والتي سميت (قصور العمال) التي أخذت تظهر وتتبلور في المناطق الصناعية الكبيرة وكانت تهدف إلى نشر أعمال المفكرين وطرح الثقافة ضمن تنظيم جماهيري هدفه مساعدة العمال وتحسين مستوى تأهيلهم الثقافي والاجتماعي. أظهرت تلك القصور نوعاً من النمطية في تصاميمها أصبحت تشكل جزءاً رئيساً ومهيمناً في مركز القطاع السكني.

٧- كان ظهور المراكز الثقافية في فرنسا بهدف رفع المستوى الثقافي للعمال وتهدئة النزاعات الاجتماعية وإعطاءهم نوع من التعليم يهتم بأوقات الفراغ عن طريق تهيئة منهاج ثقافي يشمل مجالات الدين والأخلاق والتاريخ وذلك لإخراج الشعب من طور الانتظار والأحلام وإدخاله طور التفكير الجاد والعمل بعد الحرب العالمية الثانية والتي أقيمت على إثرها عدد من المباني ذات النشاطات الثقافية وكان أهمها المراكز الثقافية التي ظهرت في الخمسينات من القرن العشرين .

٨- برز ظهور تجربة المراكز الثقافية في مصر (مثال للتجربة العربية) مرتبطاً بظهور أنشطة حركة الثقافة الجماهيرية الشعبية والتي تأثرت بالتوجهات الغربية إلا أنها بدأت تشق طريقها وتحقق لنفسها تجربتها الخاصة من خلال طبيعة المناهج الثقافية التي أعدت لها والتي استهدفت إيقاظ الشعور القومي لدى المواطن وصقل شخصيته في شتى المجالات من خلال تنوع المناهج والأنشطة الثقافية التي تعطى خلال المراكز الثقافية وشموليتها للجانبين النظري والتطبيقي معاً.

٩- جسدت المراكز الثقافية الحديثة انعكاس الفعل الثقافي بوصفه سلوكاً أعطى المنهج العام لطبيعة ونوعية الفعالية الثقافية وفق الموجهات الثقافية الحديثة والتي شهدت جوانبها المادية تغيراً كبيراً على مستوى الفعل والمضمون وتوظيفه في مبنى خاص يترجم السلوك الحضاري الحديث الذي اختلف في طبيعة أدائيته زمانياً عن الماضي باختلاف موجهاته الحديثة ومكانياً حسب اختلاف الدول في التعبير عن ثقافتها من خلال السلوك الثقافي وفقاً لتوجهاتها الفكرية فظهرت عمارة ضمت ذلك الفعل وعبرت عن الخصوصية الثقافية لكل حضارة.

١٠- تباينت التوجهات الفكرية الحديثة في عملية توظيف الثقافة وفعالياتها بين ما عكسته التوجهات الغربية في ربطها سيادة ثقافاتها من خلال سيادة أبنيتها وتوظيف التقنيات الإنشائية والتقدم التكنولوجي في تعبيرية المراكز الثقافية وطبيعة عملها بوصفها فعاليات تعتمد على الأساليب التقنية الحديثة في ممارسة الفعاليات الثقافية وبين دمج التطور التقني في عمارة المراكز الثقافية بوصفها أبنية تقنية متقدمة تكنولوجياً مع المحافظة على تقليدية الفعاليات الثقافية المتوارثة والتي انعكست في الثقافة اليابانية القديمة والمحافظة على وجودها ضمن المراكز الثقافية. أما التوجه العربي فقد حافظ على إعطاء ثقافة معاصرة تشمل الجوانب المتوارثة والتي تمثل الهوية الثقافية والحضارية للثقافة العربية وفي نفس الوقت اطلاع الجمهور على الثقافات العالمية من خلال ما يتم عرضه من فعاليات تغذي هذا الجانب وتوظيف الجانبين مما أعطى عمارة وفعالية ثقافية معاصرة تحافظ على هويتها العربية وتحقق التواصل من خلال فعالياتها مع الثقافات الأخرى.

المصادر الأجنبية

Architecture and Urbanism, (A U) ; Feb., 1986 , No. 185 .

Curtis, William JR; (1997), Modern Architecture Since (1900) , Phadian Press.

Special Report , (1989), IRCAM : Institute for Acoustic – Musical Coordination and Research, Paris , France.

المصادر العربية

الكفيشي ، حيدر محمد سعيد ؛ (١٩٨٨)، المعايير التخطيطية والتصميمية للمراكز الثقافية الحديثة في المخططات الأساسية لمدينة بغداد ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الهندسة في قسم الهندسة المعمارية في جامعة بغداد.

المالكي ، د. قبيلة فارس ؛ (١٩٩٨)، الثقافة وخطاب الهوية ، نظرة فلسفية ، بحث مقدم للمؤتمر المعماري الأردني الأول ، نقابة المهندسين الأردنيين.

المالكي ، د. قبيلة فارس ؛ (٢٠٠٠)، مجتمعية العمارة العربية، العمارة بين نزوع المجتمع وواقع الحال ، بحث مقدم للمؤتمر المعماري الأردني الثاني " العمارة والبيئة المستدامة " ، نقابة المعماريين الأردنيين ، ج٢ .

النكلاوي ، د. أحمد ؛ (١٩٨٠)، الإنسان والتحديث، مكتبة نهضة الشرق ، دار عطوة للطباعة .

تقرير خاص بعنوان " الأسس التصميمية للأبنية العامة / موسكو " ؛ قسم الهندسة المعمارية في جامعة موسكو ، (١٩٦٢).

خلوصي ، محمد ماجد ؛ (٢٠٠١)، الأبنية الثقافية الفنية – معارض – قاعات – برلمانات ، الموسوعة الهندسية المعمارية ، دار قابس ، بيروت .

فليه ، د. فاروق عبدة ود. إبراهيم عباس الزهيري ؛ (١٩٩٨)، الثلاثية العصرية – الثقافة – الإعلام – التربية ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة .

ميشيل ، دنكن ؛ (١٩٨٠)، معجم علم الاجتماع ، ترجمة د. إحسان محمد الحسني ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية ، سلسلة الكتب المترجمة.